

الغواية

شعر

صلاح والي



الطبعـــة الأولى ١٩٩٢

دار سعاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧
٣٤٩٧٧٧٩
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

رقم الإيداع : ١٩٩٢/٩٣٤١
I.S.B.N. 977—5344—37— 9

الاشراف الفنى : حلمى التونى

الغـــواية



إلى (بسمات - هيّات)

غـوايتي

جحيمي وفرحي

صلاح والي

(اتفــاق)

عندما يتعلق الأمر بالإبداع اتركونا أحراراً ،،

ميشال فوكو

« الكلمات والأشياء »



(١)

صار الفراغ حضوراً
رياح وحشتها تخشخشُ فى عظامه
اتسعتْ داره عليه
رفرف قلبُه وسكنَ من الخوفِ
دخَّن كثيراً لفائف أيامه
فناجينُ القهوة اتسعَتْ بعيونِ الغربة
الوحـــدةُ
صوتها يطغى على المكان .



(٢)

هو يسير على رمال وحدته
يبحثُ فى جيوبه عن حَلٍّ لَهُ
يقبضُ بيديه على أزهارِ القلب
فيعانقُ نجوماً
ونيازك تفحَّمَتْ
صفحات وجهها
فى كل مكان
هو يعرف
ويــرى



(٣)

« حقيقة »

ما كنت « هَيَّاتُ »
حبيبةَ أحدٍ منكم
لـكن
حَبَّةَ قلبى والأكوانْ
الأكوانُ امتزجَتْ فيها
وبهـا
صارت أكوانا

* * *

تتجمع إذ تتناثر فى الروح
وتبقى فى أَزَلِ الأشياء
بداية كل الأشياء/ الموجودات
وخاتمة الأحلام
تتوالد بالخِصْبِ الذاتى
ولا تتكامل إلّا بى
فتصحو الأكوانُ من الغفلة
وتشم عبير العشقِ
فَتَأْتَلِقُ
وأنا فى ذاتى منتظر
وعلى ذاتى منقسم
وإليها أَنْظُرُ ... منتظراً
منتظرا هَلّاتِ مُحَيَّاهَا
ورنينَ خلاخيلِ الساقينِ
ورؤيا الثوب الملتصقِ

من العرقِ المالحِ فوقَ الأفخاذِ النُورانيَّةِ
والأرداف المعبد
أَحُلُمٌ ... أم ؟!

. . . .

لا أعرف إلّا أن [الهيّات]
حبيبة هذا القلب
وبلواه



(٤)

ضبط نفسه أكثر من مَرَّةٍ
فى حالةِ عدم التوازن
حضورها فى الغياب
أكثرُ من طاغٍ

* * *

زوىٰ عينيه قليلاً
ونظر أبعد من الماوراء
فَتَسَمَّعَ بالعينين كلاماً
قال : صَدَقْتَ



(٥)

مَدَّ إلى نجماتِ الكونِ أصابعه
قَرَّبَهَا من عينٍ أَعْتَمَهَا الضوءُ
كانت بقايا قصرٍ من مَرْمَرْ
انْهَارَ من الجوى
بكى حتى جفَّ الدمع
وجاءت حضوراً كاسحاً
إنه يتلفّعُ بها وينشج

« هى »

هى أول الأشياءِ والكلماتْ
يبتهجُ المدى من فوره
يهمى بها لذويه فى الأكوان
أرشفُ قطرةً من سحرها
وأقـولُ
جَادَتْ بالذى جئنا به من حلمنا
عِلْمـاً
وعَلَّمَتْ القليب الصبرَ
قد صَـدَقَ الزمانْ

أقــول
هذى ثورة أخرى ،
فأى مذاهب فى العشقِ كانت
تحويها فى أَكُفِّ الكونِ ؟!
أى مُدَنَّسَاتٍ تُبْنَ أو أُنِّبْنَ من وقعِ الهجيرِ
بِجِسْمِهِنَّ
فَعُدْنَ أربعَ رابعاتِ العشقِ
للنور الذى يَنْسَلُّ من غسقِ الدجى ،
ويضىء صدر المبتلى بالنار والأوجاعْ .
أَىُّ مُطَهَّرَاتٍ سوف تَغْسِلُ اصبعاً من رِجْلها ؟!

●

هى دفقةُ الضوءِ التى انْفَتَحَتْ
عَلَىَّ فجاءةً
فى ظلمةِ الأشياءِ تعمى الذاكرةْ

ولتنتهى فى لحظةٍ
كل المحيطاتِ ، الحدودُ ، الذكرياتُ
وتنتشى بالخوف
– إيَّاك انزلقْتَ أو احترقت
فأنت مبتهجٌ بهذا الخوف
فاركض فى مداخلها
تراها ؟!
– . . . .
– لا تحيطُ بها ؟!
– . . . .
– فأنت تحبها أبداً ...
أُدْخُلْ هنالِكَ فى نعيم جنانها

واقطِفْ ثمار الوقتِ من شجرِ المعانى
واجْتَلِ للنفس أغنيةً
وصَلِّ للجمالِ ولا تَخَفْ

وانْعَمْ بما ملكَتْ يمينُك
واأتِها من فيضٍ ما عَشِقَتْ عيونك
من ربيعِ حقولها
وأَفِضْ إذا جَادَ الزمانُ بجودهِ جوداً
تجلَّى حين يبسمُ ثغرها
من بَعْدِ ما حَمِيَتْ تُحَمْحِمُ مهرتُكْ
هذا زمان الوصل
صِلْ مُهَجاً بمهجتها وِصَالاً مُتَّصِلْ
– هذى حدود الروحْ
فالتمس لنا وطناً
يُدَثِّرُنَا ، ويَعْشَقُنَا

ويَفْتَحُ صدره يوماً لاحزانِ الغريبْ .
كلُّ البلاد عَشِقْتُها من أجل عينيك
التي نَزَّتْ برائحةِ الحياة
وعَمَّقَتْ قدمي جذراً في صخور حنينها
وأنينها
شكواي من زمنِ النخاسة
فاستبيحي كُلَّ ما في الأرضِ من عشقٍ
ومُدِّي للسماءِ جديلتين
وعانقي روحي التي شَرَدَتْ
فَشَرَّدَتْ الطيورَ
ولم تَبُحْ !!

(٦)

أخـــيراً
وأخيراً جداً
وجد أنه غير قادرٍ على اجتياز الناس
والشـــــارع
حَبَسَ نفسَـهُ فى قلبه
ولكنه ضَـبَطَ نفسه يسيرُ
فى بستانِ مَحَبَّتِها
ويكتب اسمها فى أفقِ الكونِ
ويَتْبَعُ ذلكِ الصوت الذى تَنَاهى إليه

ويكادُ من فَرْطِ شحوبه
أن يَذُوبَ فى غيم دموعه
فكتبها .

●

هذى بداياتُ الكلامِ
وأولُ اللغةِ الفصيحهْ
هذى بداياتُ النهارِ
وآخر الليلِ الطويلِ المُنْتَهَكْ

عيناكِ جَنَّةُ عاشقٍ
وجحيمُ وَصْلٍ مُتَّصِلْ
وأنا
وأنتِ
آخرُ الأشياءْ
انْدَاحَتْ بنا ريحُ الشمالِ
فلا تغيبى فى رياحِ القهرِ
بصِّى
هذه الدنيا تَعَرَّتْ من أُسَاهَا
واكْتَسَتْ عرى الحقيقةِ بين أيدينا مَدًى
فاذا قَضَيْنَا

يثقبُ الدنيا شتاءٌ جائعٌ
ثلجٌ يُجَمِّدُ قطبه
ويذيبُه شوق المحبِّ إذا اتصلْ
لو أن فى العينين نوماً آخرَ
كنَّا ننامُ ونختفى
لـكن
أنا بهما بشوقِ النارِ والفردَوْسِ
دوماً أتَّضِـخْ
- صِـلْ ما انْقَطَعْ
- وأنا وصَلْتُ نهاية المدنِ الرحيمة
أُرْضِعُ المُهَجَ الحميمةَ من حليبِ القلبِ
صَبْوَةَ عاشقٍ
يحبو على كفَّينِ من مهجٍ
ونعشقُ ضِـحْكَهُ
ونُقَلِّد الكلماتِ فى تكوينها الهَمَجِىِّ فى شَـفَةِ الوليدِ

ونتتشى
يمتدُّ حبلُ الوَصْـلِ
حتى لا حدود تحدّنا
صرنا خلايا عاشقٍ ذَابَتْ
وأفْـنَـيْـنَـا حدود الجسم
هَددمْنَا ملامحنا
وأنْشَـأْنَا ملامحَ عاشقينِ
تعانقا وهجاً
فَضَـوَّتْ فى الأريجِ رياحُ وَصْـلٍ مُتَّصِـلْ
ذَابَتْ حنايانا
وصَـبَّ النهرُ فى المجرى
وسَـالَ بنا العرق
قَطْرٌ تدلى فوق صدرِ الكونِ
من خمر اتصَـالِ الواجدينَ
ندى الصباح إذا اغتَبَقْ

بأريج زهرِ النورِ والنّوّارِ
فانداحَتْ به ريحُ الشمالِ
وداعَبَتْ مهجَ الصخورِ
فأوْرَقَتْ بشراً من العشاقِ
يحتفلونَ بالوجع الجميلِ الحلو للدنيا
ويبتسمونَ !
مرحى يا أبانا
إننا أبناؤك الخلصَاءْ
عَمِّدْنا
وأرشِدْنَا
وخَلِصْنَا من الدنيا الغواية
والحَزَنْ .

١٩٩٠/١/٢٠

(٧)

غواية الغويّ

ما الذى يتبقى بعد فناءِ الجسدْ ؟!
بعد أن يشفّ ويخفّ
بعد أن هَصَـرَتْهُ التجربة
ووَدَّ البوح
بعد أن استَطَالَتْ محادثاته الداخلية
حتى أتعبَتْهُ
وإنه لحزين .

* * *

تلك هى ثمارُ حقوله

لم تظهر منه إلّا إشاراتٌ مُبْهَمَةٌ
أو تجاوزٌ فى حديثٍ
فزادَتْ أخطاؤه الخارجية
وصحت دخيلته تماماً
فتجاوز علوا

* * *

تَرَكَ لعيالِ الدنيا فرحهم بأخطائه
فَرِحُوا بعدم الرؤيا
وتَنَاسَوْا أنه – بلا ذنبٍ – وُلِدَ عَظِيمًا
وعَاشَ وجوداً جماعياً كاسحاً

* * *

حضـوره
يعنى أن تفرض طاقتُه احتلالها لكل ما حولها
المجاهِدُ من الحضورِ من يستطيعُ الصمودَ للتلقى
وهناكَ من يُمْحَى تماماً

وهو لا يقصد
بعضهم يتحول إلى صفرٍ ويكبر تحت أقدامه
إنهم مُرِيْدُوهُ
وهو لا يراهم
يُوَزِّع هِبَاتِهِ من أخطائه
ويعــلو
ويشـــفّ
ويكتب مُدَوَّنَاتِه .

●

– حذرناك كثيراً
ونصحنا شهوتَكَ المُرَّةَ بضعَ مرارٍ
فمن أغراكَ بضَمِّ المفعولِ به
ضَمًّا يتَأَجَّجُ فيه النَّبْضُ
ومَنْ أَغْراكَ بِدَفْقِ عواطفك الحَرَّةِ
فى أرجاءِ المحبوبِ
عَشِقْتَ إذن
ونَضَحْتَ من العِشْقِ فسُوقاً
إذ أبقيتَ الأفخاذَ الملكيةَ
تتأرجَحُ مُشْرَعَةً فى وجهِ الشمسِ
وأعْلَنْتَ بصمتِ المُجْهَدِ
صرخات المفعول به وجعاً حلواً
تتألم منه الجدران
وترقُب كلُّ نوافذ عشاقِ الحىّ ستائركم

* * *

أعطيناك الإذن
بأن تركَب ظهر الغَيْمَةِ
تتأرجح بين جبالِ الضوءِ
تَشُدُّ مجراتٍ من أذنيها
تنفخُ روحكَ فى نجمٍ صادٍ يحترقُ
فمن خَوَّلَكَ بإخراج حَشَاهَا
بحشَاك
وتلويثِ الكون ببهجتها !؟!؟
– كسرتُ المألوفَ
فأورَقَ فى إبطىَّ حنينٌ للنِسْوةِ
فأخذتُ السِرَّ إلى جبل الشهوةِ
ودخَلْتُ كهوفَ الفِعْلِ
بَصَمْتُ على الدَغْلِ بحبثٍ
وضحكتُ من العرق الطالع
من ألم الكىِّ مَبَاهِجْ

– نثرتَ أمانيك أغانٍ هوجَاء
ترفرفُ فوق شجيراتِ الضْوءِ
أضاءتْ نجماتٌ فى شَعْرِك
فاسترحْ الآن قليلاً
مَالَكَ ؟!
تُسْقِطُ عينيكَ على دغلِ الروحِ
وتُسْمِعُهَا أغنيةً للسفرِ
وتكتبُ فى دفترِ أحزانِك
مرثيةً للعمرِ
كل نساءِ العالم حولكْ
– . . . .
– لا تُبصرُ إلاَّهَا
– . . . .
– أنت سَكِرْتَ بخمرتها أبداً
– . . . .

- حَذَّرْنَاك وحذّرناك
حذرناك من السُّكْرِ المُوجِع
إذْ يفْتحُ أبوابَ القلبِ
ويخرجُ أشجارَ الحزنِ
من الكأسِ المُورِقِ فوق الطاولةِ
نساءً تتدلّلُ فى ضحكتها
يا الله !!
فركنا أذنيك
وقُلْتَ معاذ الله
فمنْ أغراك بهِنَّ
- الشـوقُ
وشمعات ذابتْ فى الضوءِ حياءً
وبحْثُ عن الأسبابِ لئلَّا أوقظها
ومَرَرْتُ على بابِ القلبِ
كتمتُ الأشـواقَ

فهاجَتْ أشجارُ الوردِ ببادیتی
فسقَطْتُ على أولِ دغلٍ فاجأنی
« بين الأعمدةِ . . . . . »
وقُلْتُ لقد عَمِيَتْ عينُ المحبوبِ بأغنيتى
وفَكَكْتُ طلاسم حجرِ الصدرِ
فَضَجَّتْ كل حروف العشقِ بقاتلتى
فَتَخَيَّرْ يا مَنْ تَنْصَحُنى
موتاً يرقى لحياتى
– حذّرناك من العبثِ
وضَعْنَا مصحفَ أُمِّكَ بين يديك
وصَايا جدك إنجيلاً فى كفَّيكَ
قرأنا فاتحتينِ على روحك
وتعوذْنَا كثيراً من حُسْنِكَ
ودفَنَّا بعض الرقى والأورادِ
كتبْنَا فوق جبينِك

آياتٍ من سورةِ أحزانك
وأَزَلْنَا كل براعمِ عشقٍ نَبَتَتْ
في جَسَدِك
فمن أغراك بعُرْيِكَ ؟!
من عَلَّمكَ بأن تَخْلَعَ سروالَ البحرِ
وتلقِيه على الرملِ بلا ذاكرةٍ ؟!
أَنْتَ فَسَقْتَ
سنقْطَعُ كفَّيك
قدميك
ونصلُبَك على جذع النخلةِ عرياناً
شلواً مِزَقا
- أغنى في الحبِّ أغانيها
والجذعُ يحنُّ إليَّ
ويورقُ نخلاتِ العشقِ
بصحراءِ نفوسكمُو

– عبثْتَ بكلتَا يديكَ بورداتِ أنوثتها
قُلْتَ لنا : انفجرتْ شبقاً
– فعريتُ من الوحشةِ بهجتها
وكشفتُ لحافَ الأيامِ قليلاً عن دمعتها
وأزحتُ ستائر أصداغ الوجهِ
عن الشوقِ المتأجِّج فى سُرَّتِها
وقرأتُ على الجفنينِ تراتيلَ الأوجاع
رأيتُ على حدقاتِ العينِ حروفى
قُلْتُ اقْتَلِعْ الآن بكارتها

* * *

صار الكونُ مريضاً من فَرْطِ
أنوثتها

* * *

– صَرَخْنَا فى أذنيك مِرَاراً
وبنينَا أسواراً فوق الجنبينِ

لكى لا تلتصقَ ورداتِ البحرِ
بورداتِ النَّجْم
ولا تلتصقَ سُرَّتُها فى شَفَةِ النجم القطبى
ولـكن
بَشِمَتْ أذناك ، وسَدَّ الرفضُ مَسَامِعها
- كنتُ أقَلِّبُ أوراقَ الوردِ
« وهيَّاتٌ » شَبِقَتْ
شَهَقَتْ
نَزِقَتْ
وَضَعَتْ
وضَعَتْ كلَّ الشهواتِ بسروالِ الليلِ
حَشَرَتْ
حَشَرَتْ فى حاشيةِ الليلِ ورودَ أنوثتِها
قَالَتْ : كنتُ كنهرٍ مسدودِ الناحيتينِ
وتراخَتْ بين يدىَّ

فأيُّ ملائكةٍ تحملنى
وتُهَدْهِدُنى الهَدْهَدَةَ الأَهْدَأَ
من كلِّ الأشياءِ
وتُبقِينى مثل عمودِ المعبدِ
محشوراً فى بَهْجَتِها
إذْ ذَاكَ تكاملَ عشقى
لم أسمعْ صرخاتِك يا آلهةَ الأخلاقِ
وخُضْتُ النهر فخاصمنى خوفى
وتَمَنْطَقْتُ بلامِ الرفْضِ
تَطَاوَلَ عمرى
وحَفَرْتُ بنارِ الوجْدِ على ورداتِ العشقِ
هنالِكَ إسمى
وكتبتُ تراتيلَ الأحزانِ على عتباتِ الأيامِ
وقلتُ : اليومَ أتِمُّ لكم آياتِ الأشواقِ
وقد بَلَّغْتُ رسالاتى

وحَفَرْتُ بوردات العشق
جَوَى أيامى وعظامى
وبنَيْتُ على صحراءِ قلوبكموا
مُدُنى
تِلْكَ وصاياى وشِعْرى
ها أنَا قد بَلَّغْتُ
صِرتُ كتاباً مفتوحاً
فَتَمَهَّلْ يا مَنْ تقرؤنى على مُكْثٍ
وتَبَصَّرْ أمرى .

١٩٩١/٤/٢٧



(٨)

ما كانَ .. كانَ
وما سيكونُ لا يعرفِهُ
غيرَ أنَّهُ يرَاها
ويعرف أنها هنا .

* * *

هذا احتِلَالُكِ للمكان
وحشةً واغتراباً
وها أنا فى بحرِك الجَافْ
أغرقُ فى أمواجِ وحْشَتِكْ
قلبى أتْعَبَهُ التحديقُ

لا صوتَ لى
يا لِقَسْوَتِكِ وحَنَانكْ
وقُدْرَتِك على الفراقْ
أحسُ رَعْشَةَ الذبيحِ تسرى فى عظامى
يا لقدرتى على عدم الموتِ
نَبْضُ الروحِ ، نَزْفُ الدم
وارتعاشةُ الجَسَدِ ، حُمىً العظامِ
وجودك اللامتناهى على الموجوداتِ

(٩)

خيطٌ بينى وبينك
أوله أنتِ
آخره أنتِ
يَمُرُّ الخيطُ من قلبى
فَتَخْتَرِقِيْنَنى من كلِّ الجهاتِ
ما بينَكِ وبَيْنَكِ
بكائى ووحدتى
وصوتُ نشيجِ الآخرِ سَلْوَتى
ومُفْتَتَحُ بَوْحِى



(١٠)

الـ ... هى

منك الصدودُ

ومنى بالصدودِ رضَا

مَنْ ذَا علىَّ بهذا

فى هواكِ قَضَى[١]

* * *

هى أولُ الأشياءِ فى عُنِقِ الغواية

فِتْنَةُ البحرِ

انزلاقُ الشاطئينِ إلى السمَا

هى كعبةُ الوجْدِ التى مُنِعَتْ علينا بَعْدَهَا

(١) أبو العلاء المعرى (سقط الزند) – ٤٣ .

وزيارةُ الحجرِ القُلَيْبِ
وسَفْحُ دمعاتِ العيونِ على مَرَابعِ وجْدنا
هذا مكانُ الوَصْلِ
هل تتذكرينَ بأنَّ مُزْنَةً قَدْ أَطَلَّتْ فى جحيمِ الصيفِ
أَغْرقَت البلادَ بمائِها
وأنا وأنتِ غارقينِ بعشقِنَا
هذا هواكِ
دمٌ ، وبُعْدٌ ، وارتحالْ
هذا جزائى منكِ
إدبارٌ ، ونَأْىٌ ، واتصالْ
ناديتُ بالقلبِ
كم ناديتُ عاشقتى
صوتى صَدَى جرح روحى
لا يردُّ صدى
لا أسمعُ الصوتَ منكِ

هل إلى خَرَسٍ
فَفَقْدُكِ السمعَ
مقرونٌ إلى الخَرَسِ
لو أن لى منكِ شيئاً فى يدىَّ إذنْ
أعَدْتُ خَلْقَكِ منه
لا مِنَ العدمِ .



(١١)

صار لا يستطيعُ القيامْ
صار لا يستطيعُ القعودْ
صار لا يستطيع أن يستطيعْ
فقد تَلِفَ تلفاً كثيراً

* * *

قَلَّبَ قَلْبَهُ
فوجده قد أصابه العَطَبْ
قَرَّرَ أن يَرْتُقَه
ومدَّ أصابعهُ مكانَ العَطَبِ
فرآها

●

ولاحَتْ فى بروجِ البدرِ بُعْداً
بدور مهاً
تبرجها اكتنانُ
فلو سمحَ الزمانُ بها لضَنَّتْ
ولو سَمَحَتْ
لضَنَّ بها الزمانُ[1]

* * *

منتظرٌ فى باب الكونِ أراودُ كلَّ مَسَامِعِهَا
أَخَذَتْنِى التَعْتَعَةُ المرَّة
خِفْتُ من الهذيانِ
تُرى سَمَحَتْ ؟!
ضَنَّتْ ؟!
أم أنى فى رؤياى سأنتظرُ ؟!
منذ خَمِيْسَيْنِ وقلبى شبقٌ لمرايا النارِ

---

(١) المعـرى .

إلى قَبَسٍ منها
فلعلَّ هنالك فى النارِ هدى
لا أعرفُ إن لاحَتْ
كيف أقولُ ؟!
كيف أرتبُ أوجاعَ القلبِ ؟!
وهذى الحمى !!
أأدثرها بالشوقِ
وأخصِفُ من ورقِ الأحزانِ عليها !!
أهديها تعبى .
مالى يَنْحَطُّ على أكتافى جبلٌ
قدماى تَسُوخَانِ
وروحى تتطايرُ بعضُ شَظَايا
مالى معترضٌ نفسى ؟!
لا أعرف أَيْنَاىَ أنا
فى مدنِ « الأَيْنِ » تَخَفَّتْ

تركتنى فى مدن [متى] و [لماذا] ، [كيف]؟!
أكلانا مُنْقَلِبٌ ضد الآخرِ
وحميمٌ للقيا .
لا أتحملُ مطلعَ مَفْرِقها
وغياب مُحياها
ماذا يُقْدَحُ فى رأسِ الغَيْبِ إذن ؟!
– ألمحُ خَلْفَ ظلامِ الليلِ وجوهاً شوهاءْ
وأحذيةً ضخمةْ .
وأى رؤوسٍ تتمايلُ
إذ تتآمرُ ضِدى –
يهتفُ بى صوتٌ يَتَهَالَكُ من وجعٍ
– أقْبِلْ
– . . . . مالى معترضٌ ذاتى ؟!
ولماذا تَتَعَارضُ فىَّ مفَاتِنُها
ولماذا تسبقُنى غيبتها ؟
. . . .

.... هل هذا الصوتُ هى ؟!
ماذا يبقى للشَدْوِ إذنْ ؟
وأيَّةُ موسيقى بعد الآن سَنَسْمَعُهَا
وأى جواباتِ ومقاماتِ خرساءَ ستَفْتِنُهَا ؟!
لكأن الكون هى
– إذْ ذَاكَ امتلأتْ كفَّاىَ بكلِّ رحيق اللذَّةِ –
قلتُ هى
صَمَتَ الصوتُ وضَاعَ
وظَلَّ بأذنىَّ صَدَى
لكأنَّ مَفَاتيحى تُغْلِقُ كُلَّ الأبوابِ
إذا جاءتْ تَفْتَحُها
مالى معترضٌ ذاتى
مأخوذٌ ناحيةَ الصوتِ بِكُلِّى ؟!
جُودِى إنَّ اللغَةَ اخْتَمَرَتْ
والروحَ اتَّسَخَتْ

وأنا منتظرٌ بحشودى
جُودِى
فأنَا من ضَجَّةِ هذا الصمت
سأختنقُ .

(١٢)

الحلمُ مدينةُ العاجز
وأنتِ فوق الحلمِ .
أقوى من الوجودِ إذ يغيبُ عنى فى وجودِكِ
وجُودُكِ
حلمى أم حقيقتى
أدخلُ عالَمكِ ليلًا أو نهاراً
ليكونَ لى جحيماً أو نعيماً
فكلاهما جحيمانِ لعشقى

●

ذَوَتْ اللَّذاتُ ، بأحضَانِ السِّرِّ غَفَتْ
ودَفَعْتُ البابَ
تَنَبَّهَت اللَّذَّاتُ بدونِ ملابِسِهَا وقَفَتْ
وارْتَجَفَتْ
خَطَفَتْ بعضَ الأعشَابِ
ورَاحَتْ فى جلدى تَخْتَبِئُ
أمسكْتُ مواضِعَ أسرَارِ الخلْقِ
تأَوَّهَتْ اللَّذَّاتُ
فذُقْتُ بدايةَ أطرافِ اللَّذَّةِ
صامَتْ نفسى عن كلِّ الشهواتِ
وأدمَنْتُ دخولَ الأسرارِ طواعيةً
أدمنْتُ دخولَ الأسرارِ طواعيةً
الأسرارُ انتهكَتْ
اللَّذَّاتُ انتَصَبَتْ
ما داعبَها نومٌ من سَاعتِها

من علَّمَها هَجْرى ؟!
من علَّمها أن تَغْفُو داخلَ أسرارِ الأُسْرِ ؟!
من علَّمَها النومَ بدونِ ملابسها بَعْدِى ؟!
من علَّمَها ؟!
إذْ ذَاكَ تَنَهَّدَ قلبى

استَحْضَرْتُك طيفاً يتماوجُ بين الإغفاءَةِ والصحْوِ
فهتَفْتُ : إله الأسرارِ المحجوبةِ
اجعلها لى
سيُهَلِّل قلبى فَرَقاً
ماذا يحدثُ لى ؟!!
تتفزَّعُ كل حروفِ العشقِ على شفَتىَّ
وتبكى شبقا
تتخَمَّرُ فىَّ لغاتُ الوجْدِ وتُرعِدُ صاخبةً
أزْدَحِمُ بماءِ الخلقِ
أرْقُبُ هَلَّتَك وأبكى ألما

●

تسألنى الآلهةُ الموكولةُ بالعشقِ
– من أدخَلَ روحَكَ حمىَّ اللَّوعةِ ؟!
أخذتنى اللعْثَمَةُ الحُلْوةُ
ضاعَتْ كل حروفِ اللغةِ
فأىُّ حروفٍ تحملُ تعبى وتبوحُ ؟!

* * *

أبقى مَشْدُوهاً فوق حدودِ الأشياءِ
وأنظرُ أعلى أكتافِ الكونِ
فيغمرنى بالطيب شَذَى روحِكِ
والطيبُ حبيبُ
أهتفُ
أهتفُ
هذا حُسْنُكِ مبتدىءٌ ومُعِيدٌ
آهٍ لو هَلَّتْ
تسبقُ فرحَتها فَرْحَةَ لقيَاها
تسبقُها فى الكونِ أناشيدُ

(١٣)

ماذا يفعل

إذ يسأله المارة بالليل

– حزين أنْتَ ؟

صمتَ كثيراً فهو لا يدرى

– . . . . كيف إذنْ ؟!

– أن تَفْقِدَ شيئاً جَوْهَرْ

– فى الفَقْدِ أعيشْ

– لَمْ تفرحْ ؟

– . . . . كيف إذنْ ؟!

– أن تُبْصِرها

– دوماً أبصرها ، ما بين الإغواءِ الأولِ والإغواءْ

وتســـاءَل

كيفَ سأفْقِدُها إن كانَتْ فى القلبِ

وملءَ تجاعيدِ الكونِ ؟

وكيف أجِدُهَا إن كانَتْ بين الإغفاءةِ والصحوِ ؟

* * *

وحسبتُكِ من تلكَ الزهراتِ الخُنَّسِ

الجوارى الكُنَّسِ

قلتُ : على بابِ الكونِ أنا أنتظرُ

أنتظرُ الليلَ إذا عَسْعَسَ

أتنَفَّسُ ريحك وأعسُّ هنالِكَ بين الأفلاكِ

لعلَّكِ تحتَ تلالِ الأشواقِ خَنَسْتِ

وما تلك الورداتُ بيُمْنَاك

سوى بعضِ مباهج روحى

فقَبَّلْتُ الوردات فنِمْنَ
والتَصَقَتْ بعضُ دمائى بشفاهِك
بعضٌ عَادَ إلى كلٍّ
كلٌّ عاد إلى كلٍّ
وأنا من ضعفٍ فى كلٍّ من عادَاتى النَّزِقَة
أستَعْجِلُ هَلَّاتِك

* * *

ليس صحيحاً أنى أتحرَّقُ من وجعٍ
يتَنَفَّسُ فىَّ مبَاهِجَهُ
أو أنى مهتاجٌ هيَّجَتْ القلبَ مُدَامَتُهُ
فحصَدْتُ ندامَتَهُ

* * *

نَدّتْ الصرخَةُ عنى قطراتِ دمٍ
نبَتَتْ ورداتٌ حمراءُ تنامُ بحُضْنِ الأكمامِ
قالوا : بدايةَ أثداءِ صبايا هَلَّتْ

قلتُ : ولو
هى ذاتى وصِفاتى
هى كلٌّ لا بعضٌ منْهُنَّ
وهنَّ البَعْضُ المتناثِرُ فوق الدوْحِ
عصافيراً وقناديلَ وفِتَنْ
هى أصلُ المشْكَاةِ
وهُنَّ الفيضُ من النورِ

* * *

فَتَحْتُ القلبَ
وقلتُ : تَعَلَّلْ عِلَّاتِكَ
أسمعنى بلواى وبلواتِك
فتنَهَّدَ
ثم أمالَ العُنُقَ وطَأْطَأَ هامتَهُ خجلًا
وتلَعْثَمَ
لَعْثَمَةَ العاشقِ إذْ فَاجَأَهُ الجَفْنُ بعيداً عن صاحِبِهِ

يغرقُ بالنورِ
فَحدَّق منبهراً بالحَدَقِ
وتلعْثَمَ
قال : هِيَ
قلتُ : تَعَلَّمْ كيفَ تدقُّ على بابِ الألمِ المُقْفَلِ
فى رفقٍ
سَالَتْ دمعاتُ القلبِ حبيباتٍ
فوق الكأسِ الطينىِّ – أنَا –
فشربْتُ الدمعاتِ
وقلتُ : لعلَّ الشدَّةَ تنفرجُ

* * *

غامَتْ عَيْنَاىَ من الدمع
رأيتُكِ بينَ الهُدْبِ وبين الحَدَقِ
قلتُ لعلِّىَ فى الدمعِ أرى
وطرقْتُ بكلتَا يَدىَّ على كلِّ الأبوابِ المُقْفَلَةِ

أأبوابُ الرحمةِ فى وجهى مقفلة ؟!
وتذكرتُ
بأن بيوتَ الفقراءِ بلا أبوابٍ
وتَشُدُّكَ فى الليلِ الشتوىِّ الحالِكِ
حُضْنَ امرأةٍ تَهْوَاكَ
تَضُمُّكَ
زَوْجُكَ
أُمُّـكَ
ترجعُ طفلًا فى دفءِ حَنَانَيْهَا
وتنامُ وتبكى فرحاً
يا أكرمَ من سُئِلَ
لماذا أقْفَلْتَ الأبوابَ ؟!
تركتُ الدعواتِ على عتباتِكَ مُلْقَاةً
أتركها حتى تَصْفَحَ
أو تعفوَ

أو تغفِرَ
أو تفْتَحَ هذى الأبوابَ
وترحَمَنَا
كيف الرحمةُ أقْفلتْ الأبواب ؟!
كيف الرحمةُ أقفلَتْ الأبواب ؟!
طَرَقْتُ
طرقت
طرقتُ تَشَقَّقَ لحمُ الكَفَّينِ من الطَرْقِ
وجُرِّحَتْ الأبوابُ
حَفَرَتْ كَفَّاىَ دماءً مفردةً
فوق الأبوابِ
رأيتُكِ فى الدم تسيرينَ
وتلْتَفِتِينَ
فتبْتَعِدِينَ
تأملْتُ الكفَّينِ على البابِ دماءً

احْتَبَسَتْ كلماتى خجلًا
التَصقَتْ رائحةُ الكفَّينِ بأيامى
قلتُ على بابِ الرحمةِ أوجاعى حُفِرَتْ
فى الخَشَبِ المصقُولِ هُنَالِكَ
زُرِعَتْ
حَفَرْتُكِ فى الخشب المدلُوكِ
هُنَالِكَ أوجاعاً فى أبوابِ مُقْفَلَةٍ
غِيبِى فى الخشبِ المدلوكِ المصقولِ
وظلِّى أملا

(١٤)

مازال كما هو
لا يعرفُ إن كانت هى هى
أو إن كانَتْ ليستْ هى هى
وإذا كان البحرُ يتجددُ فى كلِّ لحظةٍ
فما بالك بالإنسانِ
لكنها هى !!
وظل فى غوايته باحثاً عنها
وهو يراها ولا يمسكها

●

خَلَتْ الأشياءُ
وفُرِّغَ هذا الكونُ فراغاً
إلّا مِنْ طيبٍ يتضوعُ بأريجِ مُحَيَّاكِ
يلفُّ الروحَ بأطيافِكِ
يتَمَاوَجُ فى أى جهاتِ الكونِ تُريدينَ
ويَهْمِى فوق شعيراتِ الوجهِ الفَحْمِىِّ
المُتَّجِهِ إلى بابِ الرحمةِ .
زَخَّ العِطْرُ على صوتٍ يهتفُ بى
– أَمَا زِلْتَ تعيشُ ؟!
– ليس هنالك بُدٌّ
ما بيدَىَّ مصيرى

أَتْعِبْتُ مِنَ التحدِيقِ
وأَهْوَى أن أَهْوِى فى جَوْفِ الهُوَّةِ
لا بَعْدُ أقومُ
لـكن
من يَنْظُرُهَا غيرى ؟!
ويضِـجُّ مِنَ الفَرَقِ جنوناً ودموعاً وأنينَا
مَنْ فى هذا الكونِ بها مُزْدحِمَا ؟؟.
من فى هذا الكون سيرسمُ جَسَـدَ المحبوبةِ بالزهرِ ؟
ويقطِفُ أحلى الثمرِ الطالع للتكوينِ
المندسِ هُنَالِكَ تحتَ إسارِ البشرةِ
مُقْتَحِمَا .
إذْ تَسْـقُطَ فى قدحى زهرةَ عطرٍ مُعْتَبِقِ
وأنا من حالى وجنونى من فَرْطِ
الدهشَةِ مُنْدَهِشَـا .
يارب الخَلْقِ

لقد ضَاقَتْ هذى الخِرْقَةُ
وانْمَزَقَتْ مِزَقًا .
أخرجنى منها
حَرِّرْنى منى
أدْمِنِّى عشقًا طَلِقًا .
واكتبنى عندك – فى باب العرشِ –
الصوفى النَّزِقَا .
وأنا كلُّ مزالقِ روحى
« أن اللَّذَّةَ أكثر منى خُلُقَا » .
هذا أمرك يا خَالِقَ طينةَ قلبى
من ماءٍ دَفِقَا .
وتخيرْتَ الطينَةَ من شِعْرٍ
سَوَّيْتَ الطِّينَةَ وحياً
فتعلَّم كيف يَنُصُّ إلى داخلِ هذا القلبِ
ويُخْفِى عن خُلُقٍ خَلِقَا .

وبلوتَ فؤادىَ بالعشقِ
وأوجَعْتَ بأن أحْسَنْتَ البَلْوَى
وأفَضْتَ عليها من حُسْنِكَ غَمَّازَاتِ الحُسْنِ
تَأمَّلْ فى الخَدَّينِ !!
فى أعلى الفَخْذَينِ !!
خلف النَّهْدَيْنِ !!
أموتُ كَأنَّ الغَمازَاتِ قبوراً لمحبينَ
تَسَاقَطَ كلٌّ منهمْ خَلْفَ حدودِ الأُفُقِ
فلماذَا أبْقَيْتَ حَبِيبَكَ عَبْدَكَ
فى متراسِ الكونِ تُنَادِيهِ
وتَهْجَرُهُ
وتُبْقِيهِ كشلوٍ مَزِقَا .
ولماذا أتْعَبْتَ الروحَ بفيضِ نورِ
ولم تبقنى طيناً من طينٍ
يتخَلَّقُ طينَ بساتينٍ

ويَشُمُّ العِطْرَ يَرُشُّ الأُفُقَ .
- يا ربُّ
بُلَيتُ بهذَا العِشْـقِ ولا أدْرِى سَبَبَا
هل بُلِيَتْ بِى ؟!
أم أنى فى البَلْوَى وحْدِى ويتيمٌ أبدَا
أم أن جزَائِى جَنَّاتى - أن أُبلى بالحُسْـنِ -
وبعضُ قِصَاصٍ منها
أن بُلِيَتْ بِى ؟! -
فَتَمَنَّعَ هذا الحُسْـنُ عَلىَّ
وزِيدَ الهَجْرُ يُؤدِبُ محبُوباً شَبِقَا
- أنا لا أَفْهَمُ إلاَّ أنْ تَتَدَاخَل
فلماذا تَتَبَاعَد
تَهْجُر ، تَنْأَى
وتَدُقُّ على القَلْبِ - من الشُّبَاكِ المُقْفَلِ -
تَدُقُّ مِرَاراً كَذِبَا -

صِرْتُ مِنَ العِشْقِ مَنَادِيلَ هَوى
أَمْسَحُ دَمْعَ الكونِ إذا الكونُ بكى
أتأمَّلُ طَيْفَ حبيبَةِ قلبى . . . .
. . . . . . هَلَّتْ .. ؟!
أهلاً بِعَذَابِى السَائِرِ فوقَ
الماءِ يُرِيدُ الغَرَقَا .
هذا الحُسْنُ تَجلى
أَبْهَجَ رُوحَى ، قلْبِى فاحْتَرَقَا .
لا النورُ ولا الماءُ ولا النارُ ولا الريحُ
له مطْلَقُ هذا الحُسْن
ولا النونُ ولا الجيمُ
ولا الحاءُ ولا الباءُ
لها مُتْرَفُ هذا الوجْد
فورداتُ العِشْقِ تَرُشُّ الأُفُقَ .
يا نورَ العينِ – إذا بَقِيَتْ مُفْرَدَةً –

لكأنَّ حياةً ضَـاعَتْ بِعَمَاهَا
يا نورَ العينِ
ونوار القلبِ
هل الحُورُ أَخَذْنَ مِنَ الحُسْـنِ
وزِدْتِ عَلَيْهِنَّ
رأيْتُ الحُسْـن عليك ارْتَبَكَا .

* * *

تتلعْثَمُ لغةُ الحُسْنِ وتَحْمَرُّ مِنَ الخَجَلِ
أُحَـدِّقُ
تَرْفَعُ كَفَّ الحُجُبِ أمام عُيونى
تَسْـتُرُ ما عَبِقَ
أفيقُ مِنَ التحدِيْقِ وكُلِّى مُنْدَهِش
ضَاعَتْ كل قُواى ، وقلبى شَـهَقَا .
ربُّ : مَا هذا النَّقَا .

* * *

أنزلقُ إلى ماءِ الحُسْنِ أُجَمِّلُ وجهى
وأفِيْضُ عليه من العُشْبِ البَرِّى
من الزَّعْتَرِ والنَّعْنَاع
وأُدْلِكُ مَاشَاءَ الخَالِقُ دَلْكًا منْتَظِمًا .
أزْدَادُ بهاءً
أَغْدُو أَجْمَلَ من بهجَةِ مَسْرُورٍ
أزورُ حبيبَةَ قلبى
يُطْفِئُنى الحُسْنُ !!
كيفَ أكونُ جميلاً ؟!
وأنا مَخْلُوقٌ من طِيْنَةِ هذى الأرضِ ؟!
ولهذا شَبَقٌ شَبَقَ الأيلِ المتفَرِّدِ فى الصحراءِ ، النزِقِ
تأكلنى اللَّذَّةُ
أبقى مَحْمُوماً بالطَّفْح المُوجِعِ
أتَأَمَّلُ كُلَّ المُنْحَنَيَاتِ
أُحَدِّقُ فى كلِّ الفَتَحَاتِ

وأحْسـدُ مِزلاجَ البابِ
وأغْرَقُ وَجَعًا
أتأمَّلُ هذا الحسن لهَا ، ونفسى
أصرخُ « كيفَ من الوردةِ والطينةِ
ناساً انْخَلَقَا » .
يا رب القدرةِ
اعطنى قَدْرِى
لا أحتملُ
اعطنى حِمْلِى ... لستُ أنا الطَّوْدُ
فماذا لو بَقِيَتْ
أو ضَاعَتْ
أو خَلْفَ حدودِ الحُجُبِ احْتَجَبَتْ
اعطنى قَدْرَ الكونِ
لا
قَدْرَ الأرْضِ

لا أحتملُ
قَدْرَ الكفَّيْنِ
لا أحتملُ اعطنى قَدْرَ القَبْضَةِ يَدْ
لا أحتملُ
يارَبُّ اجعلها لى
وأموتُ كما جبلٍ يَنْهَارُ – تجلى حُسْنُكَ بالفيضِ عليه –
وآخذها بين حنايا الصدرِ
وأبقى مُحْتَرِقَا .



(١٥)

أقبِضُ بيدَىَّ على خَيْطٍ من ثَوْبِكْ
أتأمَّلُ آثارَ أقدامكِ على السجَّادَةِ
قطراتِ الماءِ على جدرانِ الحَمَّام
شعراتٍ مِنْكِ فوق الوسائِدْ
حَفْرَ أصَابِعُكِ بلحمِ كتفى فى ساعاتِ الوجعِ الحلوِ
يالقسوتكِ وحضورِكِ
ويالى من ضَياعى
وَيْلٌ لى

●

لو جُمِّـعَ النـاسُ
ثم اختِيرَ صَـفْوُهُمُ
شخصاً مِنَ النَّاسِ
لم أَعْدِلْ بهَا أَحَداً .

* * *

أراكِ تَلمِّينَ الغَسَـقَ
وترتعشِـينَ بزهرِ الرمَّانِ
وتَقْتَرِبِينَ فأَرْتَبِكُ
وتَبْتَسِـمِينَ فَأَقْتَرِبُ
وتهلِّينَ فأنطَفِئُ
وتبتعِدِينَ فأشْـتَعِلُ
وتغيبينَ فأنتظـرُ

(١٦)

●

ولأنه وحيدٌ
وغير قادرٍ على فِراقها
فقد جَاءَتْ
بالروائح حضوراً قوياً
فأصابَهُ العَطَبَ ،
وصار تَلِفًا ،
فَضَاعَ من دخانِ سجائرهِ .
بعيداً عن قدرته على التوازن
فواصلَ رحلتهُ
فرأى ما رأى .

●

يموتُ الهوى منى
إذا ما لقَيْتُها
ويَحْيَا إذا فَارَقْتُها
فيعـــودُ

* * *

يخلُو العالم مِنْكِ
وأراكِ على أوراقِ الأشجارِ وفى كَفّى
قَدُّكِ محفورٌ فوقَ الأحدَاقِ
أُطِلُّ عليكِ فأنظُرُكِ
وأمدُّ يَدىَّ إلى بابِ الغَيْبِ
أُرَتِّبُ كلَّ الكلماتِ
أطَهِّرُهَا
أجمِلُ قلبى زهرةَ وجْدٍ فوقَ الكَفَّينِ
- إله الغَيْبِ
بكفَّىَّ وما حَمَلَتْ كَفَّاىَ

تقرّبتُ إليكَ
على بابكَ أبتَهِلُ
أنقِذْنى مِنْ وجعِ مَحَبَّتِهَا -
قامَتْ كل الآلهةِ الموكُولَةِ بالأبوابِ
وضَعُوا خَلْفَ الأبوابِ مَتَارِيسًا
وبكيتُ وجَفَّ الدمعُ على الخَدَّينِ عَنَاقِيْدَا
جعلَتْنِى الدمعاتُ رقيقاً وشَفِيفَا
حَفَرَتْ فى الخدينِ وأسفَلَ شَعْرِ اللحيةِ
بعضَ أخاديدِ .
وتعالَتْ أصواتُ الآلهةِ
-إله الصبرِ - إله الحبِّ - إله الخلدِ ... الرحمةِ
تَقَبَّلْ وافْتَحْ بابَكَ لمُحِبٌ دنِفَا
عَذَّبَهُ الإخْلَاصُ ، وفَاضَتْ أضْلُعُهُ بالحمَّى
وانْبَرَتْ الأشياء تعاندُه
إن سَارَ توقَّفَتْ الأشياء

وإن وقَفَ تلكَّأتْ الأشياء

وصارتْ تسبقهُ

لا يرجُو إلاَّهَا

مشكوكٌ فى قدرتهِ أن يَتَحَمَّلَ

غَيْبَتَها

أوهَلَّتَ مَفْرِقُهَا

ويُحَلِّقُ فى الأجوازِ ضَيَاعاً

وحَصَادُ الرحْلَةِ هِي

هِيَ كل سماءِ القَلْبِ

فكيْفَ يُحَلِّقُ من قُصَّ جَنَاحَاهُ

وفى أحزانِ العمرِ توضَأ مُنْغَرِسَا

وتدّ للأحزَانِ

وكانَ يودُّ الفرحَ

فَفَرَّ من الحزنِ إلى آخرِ هذا الكونِ

فلاقَاه الحزنُ هُنَالِكَ مُبْتَهِجَا

وسَمِعْنَا صَرْخَتَهُ
« مَا سِرْتُ إلَّا وطيفٌ منكِ يَتْبَعُنى
سَرَى أمامى وتأوياً على أثرِى »
وأوهمَهُ العمرُ الغارقُ فى الأحزانِ بلُقْيَاهَا
فتهلَّلَ مُبْتَهِجَا
وأقام الأعراسَ
عَلَّقَ فى سَقْفِ الكونِ فوانِيسَ القَلْبِ
وقال هى
وآتَيْنَاهُ
وكان الحزنُ بعافِيَتَيْهِ سَرَى
والقلبُ تَحَطَّمَ فى الكفَّينِ يَئِنُّ من الحمى
[والآتَيْنَاهُ]
هُنَالِكَ لم يَمْسَسْهُ
لكأنَّ [الآتَيْنَاهُ] عذاباً فى الجِسْم سَرَى
وصَرَخْنَا

اقْبَلْ يارب الغَيْبِ
حبيبَك حين غَوىٰ
– وأنا كنتُ أُمَنِّى القَلبَ بهذى الرشوةِ –
أبتهـــلُ
تَقَبَّلْ يارب دعاءَ الآلهةِ ولا تُخْجِلْهُمْ من أجلى
يارب الغيبِ أعَذْهَا لى
يارب الغيبِ أَعِذْهَا لى
صَـمْتٌ خَلْفَ الأبوابِ المُغْلَقَةِ
ولا أىٍّ صَـدَى
وأنا أَسْتَرِقُ السَّمْعَ
هل خَلْفَ الأبوابِ فراغاتٌ
وسدومٌ من هواتٍ
أبعادٌ فى الأبعادِ ؟!
وصار البُعْدُ نَوىٰ
أم أنَّ الخَلْفَ الأبوابِ تَنَاسَوْا

ضَـجَّةَ قلبى
وشِكَايَاتِ العَيْنِ
كَفَّيْنِ قد ارْتَفَعَا « حتى أعتابِ الأبوابِ »
وتهليلِ من ابْتَهَلَا

* * *

ماذا أفعلٌ
أحملُ داخلَ نفسى ضِـدى
سَـالَتْ نفسى دمعةَ حزنٍ فوقَ حدودِ الكَونِ
وشَـقَّقَتْ الخدينِ دَمَا
وأَخَذْتُ منابعَ روحى بين يدىَّ
إلى أول بدءِ التكوينِ
وكان الكونُ يَسِـيلُ
وكل الأشياء تَعِجُّ بظلمةِ بِدْءِ بدايَتِها
وهيولى الفوضَى ضَارِبةً فى كلِّ الأجنابِ
ولا أى صَـدَى

أوثَقْتُ منَابعَ روحى بحبالِ تجلُّدِها
وسلَلْتُ السكينَ
أَنَمْتُ الروحَ على جانبها الأيمن
قلتُ تَحرّر من تَعَبِكْ
فَارْتَجَّ الكونُ
وجَاءَ ترنُّمُها يُضْعِفُنى
« ما كنتُ أدرى أنَّ مثلكَ يَشْتكى
ولم يَتَغَيَّرْ للرياح نسيمُ
ولم تُطْبِقُ الدنيا الفِجَاجَ على الورى
فيهلكُ محمودٌ بها وذَمِيمُ
فإن نال مِنْكَ السقْمُ حظاً فَطَالَما
رأيتَ هلالَ الأُفْقِ وهو سَقِيمُ »

* * *

وكأنَّكِ بى تَلْهِينَ
وتَنْفَجِرِيْنَ يَنَابِيعَ جَوى

وتَشُدّيْنَ الروحَ إلى وجع التأْنِيبِ
ومَا بَاحَتْ روحى بالوجْدِ الحُلْوِ
والقَلْبُ تَألَّمَ مِنْ فَرْطِ تَنَائِيكِ
شَدَّ حَبَالَ الصَّبْرِ
تَعَلَّقَ بالأَسْتَارِ
ومَسَّحَ فى صدرِ الكونِ دُموعَ العَيْنِ
استَصْرَخَ أحجَارَ الأفقِ
وجُنَّ بصوتِكِ ، آهاتكِ ، هلَّاتكِ
صَرَّخَ فى أُذُنِ الكونِ :
هِيَ ذِي
لكأنِّى فى النَّارِ أرَى .
تَتَفَتَّقُ أبعادُ الرؤيَةِ
عن غبشٍ فى رَهَجٍ فى وَهَجٍ
تتشكَّلُ هِى
أو أنَّكَ هِى

أو أنِّي أَتَوَهَّمُك
هِلْ لِ ىْ
هِى لى .

(١٧)

الشاىُ مُرٌّ
القهوةُ مُرَّةٌ
الليلُ مُرٌّ
السجائر مُرَّةٌ
أيَّةُ مرارةٍ صَبَغَتْ حلاوتُكِ بها العالم حولى
أريدكِ
فأَنشِدِى لى لأرى

●

تَتَرَدَّدُ أصواتُ المَحْوِ
على شَجَرِ البَوْحِ
عناقيدَ ضَنَىً
تتخَلَّقُ رائحتُكِ وجعًا
وبحاراً تَحْمِلُ عرشَ مراكبنا
أنتِ سفينةُ أيامى
تَنْزَلقينَ على القلبِ
وبينَ الأمواجِ أرى وجهَكِ
يَبْتَسِمُ
أحملكِ من الماءِ بكفَّىَّ وأَنْهَلُ
أنهلُ حتى فى الدم تسيرينَ
وتَسْرِينَ إلى القلبِ
فيَنْبُتُ وجهُكِ فى حدقَاتِ العينِ سَناً
ما هذا البوحُ الحلوُ

النوحُ العَذْبُ
الموسيقَا والأشياءْ
ما هذا .. !! .. ما هذا !!
ما هـذا !!!
تَتَجسَّدُ صورَتُكِ أمامى
أشجاراً وعصافيراً وفِتَنْ
فأسيرُ بغابَاتِكِ مبتهجاً
وأكونُ أُسِيرَ بساتينِ محبَّتِكِ
أحضُنُ هذا الكون
أحلِّقُ ، أعلُو
أصحوُ
فى الفَقْدِ أعيش
وحيداً أبحثُ عنها
أعرف أنى منتظرٌ



(١٨)

وحينما وجد أنه هَالكٌ لا محالة
خرج إلى الشارع
قبضَ على زمامِ قلبه
وجده خالياً إلَّا من الفراغْ
شيئاً منقُوصاً
إن لم يكنْ جوهراً

* * *

حاول أن يَلْمَحها
فى عناوين الصحفِ

فى الفاتريناتِ
فى الصورِ
ولكن ذلك كان كله
فَيْضاً منها
أو نبأ من أنباء تفرُّدها

* * *

حاول العودةَ إلى البيتِ
لكنه شَمَّ رائحتها
تغطى صدر الكونِ زهوراً
وأن هناك أَيْدٍ تمتدُ إليه
فصعَدَ علواً
عنها يبحثُ
فتجاوزَ
فأنكروا عليه حاله

●

أَتَسَمَّعُ صوتَكِ بين الأفلاكِ المسروقَةِ ،
غَرْبَلْتُ حوارى العالم
كى يَنْسَلّ الصوتُ إِلىَّ
فَيَنْسِلَ قلبى بِضْعَ مواجِدْ
أنسجُ من حُمَّى الأيامِ ثيابَ غَدِى
وأُجَمِّلُهَا بالزَعْتَرِ والنعناع
وأَخْصِفُ من ورقِ الأحزانِ عليها
عَلَّ الغُرْبَةَ تَبْتَعِدُ
أفتحُ أوراقَ الأحزانِ
فلا أَجِدُ
انْسَلَّتْ أثوابُ الصمتِ وسَارَتْ
صَارَتْ ضوءَ شموعٍ
فى ليلٍ يَعْتَصِفُ
يَعْتَصِفُ بريحٍ تَحْمِلُهَا الغيلانُ الموكُولةُ
بالعَصْفِ ، تُبَعْثِرُني

أغرقُ فى نهرِ دموعِ المَقْهُورينَ
وأبْتَهِلُ
إله الأنهارِ الحلوةِ
والساقِيَةِ الأزهارِ ، الأشجارِ
إليكَ الطينُ ،
فَذَوِّبْهُ بمجراكَ
أَرِحْهُ مِنىِّ .
يتأوَّهُ ملكُ الأنهارِ
ويبكى ألما
– طينُكَ من طينٍ لازِبْ
زِيدَ عليهِ الحرقُ فصارَ الحمأً المسنونَ
المُتَزَجِّجَ بدماءِ القلبِ
وفَاضَ عليه الحزنُ شموعاً سوداءَ
واخْتَرَمَتْهُ الريحُ
فِضجَّ بمرثيةِ العُمْرِ

وأغْرَقَ هذى الأكوانَ

دموعاً ومَحَبَّةْ

وأراهَا

قد طُبِعَتْ قسماتُ الوجهِ

أصابعَ فوقَ العَتَبَاتِ « على بابِ الرحمةِ »

وجهاً ملتصقاً بدماءِ القلبِ

ومحفوراً فى الخشَبِ المَصْقُولِ

ويبكى ألما

وأراهَا فى حُضْنِ الأَزْهَارِ

وأسمعها فى صوتِ النَّايِ

إذا النَّايُ بكى

تَتَساقَطُ لحناً من عودِ مغنٍ أَعْمَى

يَتَصَدَّقُ باللحنِ على الدنيا

لا يطلبُ أجرًا

إذْ ذَاكَ أَفِيْضُ على الأكوانِ

دموعاً من مجرى خَدَّيْهَا
فَتَظَلُّ على الماءِ وجوهاً تَتَرَاقَصُ تحتَ الشمسِ
تقولُ هِىَ .
أَرْخَيْتُ الكفَّينِ ولَمْلَمْتُ الطينَ
فَأَىُّ الأسواقِ تُراها تأخذُ حِمْلِى
وقَطَعْتُ جبالاً ، وصحارِى
وبلاداً ساكنةً
تنتظرُ الـ [كُنْ] لتكُنْ
عَذَّبَهَا الشوقُ
أجنَّةٌ فى رَحِمِ إرادةِ من شَاءَ أَمَرْ
لو هَطَلَ الديكُ بأمرِ الآمرِ
كَسَرَتْ قِشْرَتَها
صَاحَتْ مرحاً وبكتْ

* * *

ورأيتُ الآلهةَ الموكُولة بالعشقِ

صَرَخْتُ :

يا آلهةَ العشقِ أتيتُ

إلى البابِ وصلْتُ

هي مِنّي في صحراءِ الكونِ هَوَتْ

وأنا في العشق هَوَيْتُ

عني وَلَّتْ

وأنا وَلَّيْتُ

أُوَلْوِلُ ، وَيْلِي ، وَيْلاتِي ، وَيْلٌ لي

أبحثُ عنها وأَعِسُّ

وما خَلَّيْتُ .

لكن الآلهةَ الموكُولةَ بالعِشْقِ

على حالي ضَحِكَتْ

أَخْفَتْ في العِبِّ الضِحْكَةَ

وانفَجَرتْ غَضَباً

– آتينَا بها في حالةِ عشقٍ مُتَّصِلِ

قلتُ : لقد فَعَلْتُ

قيل : تَوهَّمْتَ

قلتُ : أُلَقِّحُ هذا الكونَ

وأَبْنى بجبالٍ شُمٍّ

أطوادًا من صخرٍ

أُزْعِشُهُنَّ جَوى

نَضُّوا الأثوابَ عليَّ

وكَشَفُوا عن فَخْذَىَّ

فَشَهَقُوا

وارْتَعَبَ الأَكْبَرُ

قَالَ : لقد زَاغَ البَصَرُ

وتَأَمَّلَ أياماً فيَّ

وقَالَ بحَسَدٍ مشمولٍ بالرعْبِ

معاذَ الله فما هذا بشر

صَرَخُوا فى رُعْبٍ

– مِنْ أينَ أتَيْتَ
وكيفَ الشهوةُ فيكَ ازْدَحَمَتْ
واللَّذّة أبقَتْ
فى كُلّ عروقِكَ وَقِحَتْ
فَنَضَحْتَ من العَرَقِ عيالاً
تُغْرِقُ هذا الكونَ بِبَهْجَتِهَا
وتَضِجُّ
وتَحْمِلُ حِمْلَ بعيرٍ من لسْعَتِها
قلتُ : بعيرين
كانَتْ تَتَحَرَّقُ لما فى البُعْدِ
تَرانى أقتربُ .
قالوا .. ولهذا بَعُدَتْ

* * *

لَمْلَمْتُ الأثوابَ علىَّ
وقلتُ لقد عَمِيَتْ

وبمأساتى تَخُمَتْ
وترهَّلَ بطنُ الأكوانِ بأنَّاتى
نَعِسَتْ
وفوقَ وسائدَ من صَمَمٍ
وبشكواتِى حُشِيَتْ
لَمْلَمْتُ الحرقَ الليليةَ
قلتُ : هِىَ بى وبماءِ الخَلْقِ
قَدْ ازْدَحَمَتْ
زِدْهَا عشقاً وبهاءً
ثَبِّتْها فى متراسِ القلبِ
واقْفِلْ أبوابَ الكونِ عليها

* * *

أم أنىِّ فى رؤيَاى سأنتظرُ ؟

(١٩)

هَدَأَتْ الموجوداتُ
ودخَلَتْ فى رحمِ إرادَتِها
فازْدَادَتْ الفوضى
وعمَّ قاموسُ التنافرِ
وسطَعَتْ شمسُ الغيابِ
ففكَّرَ وَفكَّرْ
وتَعِبَ حيثُ قَدَّرْ
ثم أَمْسَكَ بتلابيبِ إرادَتِه .

●

قلتُ أُرَتِّبُ هذا الكونَ
أُعِيْدُ الأشياءَ دَوَاليكَ
وأُمْسِكُهَا
لا الدلوُ ولا الثورُ ولا السرطانُ هِىَ
لا العقربُ ولا العذراءُ ولا الجوزاءُ هِىَ
ولا الجدىُ هِىَ
هِىَ الزُّهْرَةُ ... فى أُلِقٍ تَأْتَلِقُ
وعلى أُلِقٍ تَغْتَبِقُ

●

نادَيْتُ عليها

فانْفَجرتْ زهرةَ عشقٍ فوقَ الماءِ

وقالتْ دَامعةً :

ما أطولَ غَيْبَتَكَ

أغُيِّبْتَ عليَّ

أم الغَيْبَةُ فى الغَيبِ لَهَتْ

قلتُ : أُحِنُّ لأيامٍ فى حُضْنِ يَدَيْكِ

النابضتينِ جَوى

قالتْ : قَدْ تُرسَلُ فى أيامٍ قادمةٍ

أو تَسْقُطُ فى أيامٍ قادمةٍ

ولسوفَ نَرى

حَاولْتُ الإمسَاكَ بها

فَتَماوَجَتْ الموجَاتُ

ولجَّ الماءُ عليَّ

وغاصَتْ طعناتٌ فى القلبِ
فقلتُ : أُرَتِّبُ هذا الكونَ
أنا مَلِكٌ

فَدُفِعْتُ بأقدامِ الرَحْمَةِ
فَهَوَيْتُ صخوراً تَتَفَتَّتُ .
تَحْتَرِقُ بشوقِ المَزْج
وتَشْتَعِلُ

وهَبَطْتُ بوجْهِ الأرضِ
حَفَرْتُ بها آبارَ الرغْبِ
– الباراتِ الوسخةِ
ومخازنَ بيرة استلا
حانةَ « قبرصْ »
وسراديبَ المترُوبولْ
وقهوةَ وادى النيل وأديونْ ..
. . . . والزهرةَ والبستانْ

وباب اللوقِ ، وكوزمو يوليتَانْ –
فرأيتُ بقيةَ آلهةٍ ممسوخِينَ
جَلَسْتُ إلى المائِدَةِ
رأيتُكِ فى القَدحِ
فَسالَتْ دمعاتى
قيل : معاذ الله فما هذا بشر
جَاءتْ أبوابُ الدنيا
خارجةً من قدحى
واصْطَفَّتْ فوق المائدةِ
وقيل تُرى أى الأبواب دَخَلْتَ ؟
قلتُ : وأىٌّ لم أُدْخُلْها
كانَتْ بصمات القلبِ
وكل دموعى فوقَ الأبوابِ تمائمْ

وسمعْتُ هنالك فى عمقِ الأشياءِ
بقايا خطوِكِ يقتربُ
أرهَفْتُ السمعَ
أشَرْتُ إلى الجَمْعِ

. . . .

فقاطعنى نَفَرٌ
– هل أحداً تنتظرُ ؟
لا أبصرُ شيئاً
عَمِيَتْ عَيْنَاى من الرؤيةِ
وأشمُّ على البُعدِ هنالك
رائحةَ الأثوابِ المُبْتَلَّةِ
والملتَصِقَةِ فوق الأفْخَاذِ
ورائحة المطر النارى تُبَلِّلُنى
وشَمَمْتُ روائح شَعْرِك
عرقَ الإبطينِ

سوائلَ مفرزَةً فى ساعاتِ الوَجَعِ الحُلْوِ
وَمَدَدْتُ يَدَىَّ
أَقْفَلْتُ الأبوابَ وكانَتْ موصَدَةً
وَقْعُ الخطواتِ طبولاً تعلو
تُصْبِحُ موتاً صخباً
وأشمُّ أَشُمُّ أشم
روائحُكِ تُحاصِرنى
والطَبْلُ الإيقَاعى تداخَلَ فى القلبِ
ورقَّصَ أَوْجَاعى
هذا صوتُ خلاخيلِك ينتصرُ
أرقُصُ
أَلْمِسُ بين يَدَىَّ الجسدَ الرَّخْصَ
يميلُ ويَعْتَبِقُ
فَيجِنُّ جُنُونى
جـاءتْ

والبارُ من الحُسْنِ مَضَى
فى آخر لحظاتِ اليأسِ أنا أنتصرُ
توقَّفتْ الأشياءُ
وكان النادِل فى ركنٍ منكسرٍ
فأحدِّقُ فى البارِ بلا ذاكرةٍ
وْخَرَجْتُ يقابلنى البردُ الشتْوىُّ
وزخَاتُ المطَرِ
قلتُ : إلى أينَ ؟!
من تحمينى دفئاً بين النَهْدَينِ
ولا تَدفَعُ فى الآبقِ ثمنًا
أُغْلِقَتْ الطرقاتُ علىَّ
فعدتُ إلى البارِ
حَمَلْتُ زجاجاتٍ عشرٍ
حَمَلْتُ زجاجاتٍ عشرٍ
ووضعتُ الكرسى - العرش - على المائدةِ

وقلتُ : اسْمَعْنَ وأَطَعْنَ
أنا ملكٌ
أنْتنَّ زجاجاتٍ عشرٌ
أشْرَبُكُنَّ دماءً وحليبًا .

فما سَجَدَتْ واحدةٌ

مدَّتْ إحداهُنَ العنقَ
وقالتْ : أنتَ شَديدُ السُّكْرِ
ونحنُ مَعَ اللَّذَّةِ نبتدىءُ
قلتُ : حِكَايَتَكُنَّ
وجَلَسْتُ على العرشِ
لأحْكُمَ بين حكاياتِ العشاقِ
وكانَتْ خطواتُك تَبْتَعِدُ
قلتُ : قُلْنَ فالأحزانُ ابتدأتْ .

١٩٩٢



نشرت هذه النصوص الشعرية فى الدوريات الآتية :

١ – مجلة الثقافة الجديدة – القاهرة

٢ – مجلة الشعر – القاهرة

٣ – مجلة الأسبوع الرابع – ليبيا

٤ – مجلة أدب ونقد – القاهرة

٥ – مجلة كتابات معاصرة – لبنان



صـدر للشاعر :

١ - تحولات فى زمن السقوط - ٨٥ - ديوان شعر - الهيئة العامة للكتاب - نفد .

٢ - تداعيات العشق والغربة - ٨٨ - ديوان شعر - الهيئة العامة للكتاب - نفد .

٣ - من أين يأتى البحر - ٩٢ - ديوان شعر - دار الغد .

٤ - على باب كيسان - ٩٢ - مسرحية شعرية - الهيئة العامة للكتاب - جائزة المسرح - الثقافة الجماهيرية ١٩٩١ .

قيـد الطبـع :

١ - الرؤيا والوطن - أصوات أدبية - ديوان شعر .

٢ - تجليات حرف الصاد - الهيئة العامة للكتاب - ديوان شعر .



■ **دار سعاد الصباح**
للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الإبداع المختلفة .




مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦

دار سعاد الصباح

ص.ب : ٢٧٢٨٠

الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت

القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم

تليفون : ٣٤٩١٧٢٧

٣٤٩٧٧٧٩

فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

